

جهود العلامة عبد الرحمن السعدي

في الرد على المخالفين

(الملاحدة أنموذجاً)

علي بن عمر بن محمد السحيباني
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
جامعة القصيم

جهود العلامة عبد الرحمن السعدي في الرد على المخالفين (الملاحدة أنموذجاً)

علي بن عمر بن محمد السحيباني
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : Ali@suhaibani.net

الملخص :

فإنه مما لا شك فيه أن هناك طرقا وأبوابا عديدة للدعوة إلى عقيدة السلف؛ وكان العلامة عبد الرحمن السعدي ممن سكك عامة هذه الطرق والأبواب، ومن أبرز الطرق التي سلكها الشيخ والأبواب التي فتحها في نشر دعوته لعقيدة السلف هو التصدي بالرد على المخالفين لمعتقد أهل السنة، وذلك بدحض شبههم وإبطال حججهم، وفي هذا البحث نذكر بعضاً من ردوده لشبهات الملاحدة كنموذج لهذا المسلك. ولبيان ذلك جاء هذا البحث بثلاثة مباحث وخاتمة، فالمبحث الأول: ق الرد على المخالفين، وأقسام الناس في الرد على المخالف. أما المبحث الثاني: فهو في جهود الشيخ ابن سعدي في الرد على الإلحاد، وبيان الالحاد المعاصر وسبب انتشاره، وكيفية الوقاية منه. أما الثالث والأخير فجاء في مصنفات الشيخ في مناقشة الملحدين ومنهجه في الرد عليهم، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية : جهود – العلامة – المخالفين – الملاحدة – السلف .

Efforts of the scholar Abdul Rahman Al-Saadi in responding to the violators (atheism as a model)

Ali bin Omar bin Mohammed Asheibani
Department of Faith and Contemporary Doctrines - College of Sharia and Islamic Studies - Qassim University - Kingdom of Saudi Arabia
E-mail: Ali@suhaibani.net

Abstract :

It is undoubtedly that there are many ways and chapters to call for the doctrine of the predecessors. And the scholar Abd al-Rahman al-Saadi was one of those who traversed the common paths and gates, and one of the most prominent ways the sheikh took and the doors he opened in spreading his call to the doctrine of the predecessors is to counter the response to those who violate the belief of the Sunnis, by refuting their likeness and invalidating their arguments, and in this research we mention some of his responses to the suspicions of atheism As a model for this behavior. To clarify this, this research came with three discussions and a conclusion. The first topic: s responding to violators, and divisions of people in responding to the violator. As for the second topic: It is about the efforts of Sheikh Ibn Saadi in responding to atheism, explaining contemporary atheism and the reason for its spread, and how to prevent it. As for the third and last one, it was mentioned in the works of the Sheikh in discussing atheists and his method of responding to them, then the conclusion, which contains the most important findings and recommendations.

Keywords: Efforts - The Mark - The Opponents - Atheism - The Predecessor.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، واشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد:

فإنه مما لا شك فيه أن هناك طرقا وأبوابا عديدة للدعوة إلى عقيدة السلف؛ فكل يسلك الطريق الذي ييسره الله له؛ إلا أن الله قد بارك لبعض خلقه فاستعملهم في نشر العقيدة الصحيحة، ويسر لهم كل الطرق وفتح لهم جميع الأبواب.

وكان من هؤلاء؛ العلامة عبد الرحمن السعدي الذي بارك الله له؛ فلم يترك الشيخ طريقا يوصل إلى المعتقد الصافي إلا سلكه.

ومن أبرز الطرق التي سلكها الشيخ والأبواب التي فتحها في نشر دعوته لعقيدة السلف هو التصدي بالرد على المخالفين لمعتقد أهل السنة، وذلك بدحض شبههم وإبطال حججهم.

وإبرازا لهذا المسلك الهام الذي سلكه الشيخ ضمن جهوده لنشر عقيدة السلف أذكر بعضاً من ردوده لشبهات الملاحدة كنموذج لهذا المسلك.

ولبيان جهود الشيخ عملت وفق الخطة التالية:

المبحث الأول: الرد على المخالف، وفيه:

-أهمية الرد على المخالفين.

-أقسام الناس في الرد على المخالف.

-المبحث الثاني: جهود الشيخ ابن سعدي في الرد على الإلحاد، وفيه:

-نماذج عامة من جهود الشيخ في التصدي للإلحاد.

-سبب الإلحاد، ودواعي انتشاره.

-الوقاية من خطر الإلحاد.

-الإلحاد المعاصر.

-رد المذهب الإلحادي، والمنهج العام للشيخ في بيان ذلك.

-المبحث الثالث: مصنفات الشيخ في مناقشة الملحدين ومنهجه في الرد عليهم:

-وقفات مع رسالة: "تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله".

-وقفات مع رسالة "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين".

-وقفات مع رسالة "انتصار الحق".

-الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا وأسألُ الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، كما أسأله سبحانه بأسمائِه الحسنى وصفاته العلا أن يوفقنا جميعاً للعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، وأن يعيننا جميعاً على ما قصدنا من خدمةِ الدين والعلم بهذا المؤتمر، والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: الرد على المخالف:

-أهمية الرد على المخالفين.

إن مناظرة المخالفين والرد عليهم من الأصول العظيمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى ومعلوم أن هذا أصل مهم، وبه حُفظت بيضة السنة، وكان-بعد توفيق الله- درعاً متيناً تكسرت عليه رماح المبتدعة وسهامهم المغرضة، حتى كان بعض السلف يُعرض نفسه للقتل لعدم تركه الرد على المخالف.

قال ابن طاهر المقدسي الحافظ، سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول: "عُرضتُ على السيف خمس مرات، لا يقال لي ارجع عن مذهبك! لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت"[١].

-أقسام الناس في الرد على المخالف.

وقد كثر اليوم الخوض في مسألة الرد على المخالف وصار الناس في هذه المسألة وأشباهها من المسائل الشرعية، إلى ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط.

فقسم غالٍ: ما إن يرى من طائفة أو فرد -كائناً من كان- بدعة أو مخالفة، إلا وينتصب للرد عليه وإيقاع أحكام المبتدعة والضالين على ذلك المخطئ، متدرعاً بمقالات السلف في الرد على المخالف وعقوبته وزجره، دون مراعاة للشروط والضوابط الشرعية، بل ربما اشتط وزاد على ذلك بإغلاق باب الاجتهاد، ومنع التقليد لغيره في ذلك، وصار يوالي ويعادي على قوله، فيجره ذلك إلى مفاسد أعظم من مفسدة الخطأ والبدعة التي تصدى لإنكارها، كإحداث الفرقة بين أهل السنة، والتنفير منهم، ونشر الضغائن والأحقاد بين المنتسبين للعلم، وغير ذلك.

وقسم ثانٍ: لا يقل خطراً عن الأول: تجافى عن العمل بهذا الأصل العظيم والجهاد الكبير، وعما يترتب عليه من العقوبات الشرعية للمخالفين

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٠٧/١).

بحجة جهاد الكفار، ووحدة صف المسلمين، وترك الاختلاف والتفرق وغير ذلك، فأدى ذلك إلى مفسدة أكبر مما خاف من وقوعه، كانتشار البدع، وظهور رؤوس الفرق، ورواجهم بين عامة أهل السنة، واختلاط السنة بالبدع ومحدثات الأمور، وغير ذلك.

وهذان القسمان: قال في شأنهما ابن تيمية: "قد يبغى بعض المستنة –يعني أهل السنة– إما على بعضهم، وإما على نوع من المبتدعة، بزيادة على ما أمر الله به، وهو الإسراف، المذكور في قوله: **(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا) [آل عمران:١٤٧].**

وبإزاء هذا العدوان تقصير آخرين فيما أمروا به من الحق، أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في هذه الأمور كلها، فما أحسن ما قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظفر غلواً أو تقصيراً"[١].

وقسم ثالث: هم الوسط: آمنوا بمشروعية الرد على المخالف وضرورة القيام به، لكن بفقه وعلم وحكمة، وفق أحكامه وضوابطه الشرعية وهؤلاء هم أتباع سنة النبي ﷺ، والسلف الصالح حقاً[٢].

وكان من هذا القسم في هذه العصور المتأخرة؛ الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي، الذي اتبع منهج الله المتمثل في كتابه وسنة نبيه ﷺ، ملتزما في ذلك نهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في شرحه لحديث: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[٣]: "فيدخل في ذلك التفقه في العقائد، ومعرفة مذهب

(١) الفتاوى (٤٨٣/١٤).

(٢) ينظر: مقدمة كتاب شذور ولطائف في آداب الرد على المخالف لحمد بن عبد العزيز ابن عتيق.

(٣) البخاري (١٠٣٧).

السلف فيها، والتحقق به ظاهرا وباطنا، ومعرفة مذاهب المخالفين، وبيان مخالفتها للكتاب والسنة"[1].

وفي هذا البحث المختصر أعرض ما تيسر من جهود الشيخ ومنهجه في ردوده على المخالفين من خلال رده على الملاحدة خصوصا، مستلهماً ذلك من بعض كتابته ورسائله.

المبحث الثاني: جهود الشيخ ابن سعدي في الرد على الإلحاد.

-نماذج عامة من جهود الشيخ في التصدي للإلحاد.

إن الناظر في كتب ورسائل العلامة عبد الرحمن السعدي يجد أنه كان حريصا كل الحرص على منازلة أهل الإلحاد؛ فكلما سنحت له فرصة في الرد عليهم انتهزها ووجه إليهم ردودا تقضي على ما يبثونه من شبهات، وما ينطقون به من ضلالات.

وفيما يلي استعراض بعض النماذج من ردود الشيخ على الإلحاد، والملحدين، وهي قليل من كثير؛ توضح للقارئ كم كان الشيخ غيورا على دينه، بصيرا بمواضع الخطر، قويا في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، حريصا على الدعوة لله تعالى، ناصحا للإسلام وأهله.

مع ما تميز به الشيخ السعدي رحمه الله بإدراك الواقع من حوله، وكان شأنه كشأن الربانيين من العلماء يستشعر الخطر القادم على أمة الإسلام ويعلم من أي الأبواب يأتي الخطر، وما ذلك إلا لسعة اطلاعه وفهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولاقتفائه أثر العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وبهذا الإدراك استشعر الشيخ قدوم الإلحاد غازياً أفكار المسلمين وأراضيهم.

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٢٢).

يقول الشيخ رحمه الله: "نبغت في هذه الأزمان المتأخرة فرقة خبيثة زنادقة أنكروا جميع ما جاءت به الرسل، وأنكروا وجود الباري، ولم يثبتوا من العلوم إلا العلوم الطبيعية التي وصلت إليها معارفهم القاصرة، فبناء على هذا المذهب الذي هو أبعد المذاهب عن الحقيقة شرعا وعقلا أنكروا آدم وحواء، وما ذكره الله ورسوله عنهما، وزعموا أن هذا الإنسان كان حيوانا قردا، أو شبيها بالقرد، حتى ارتقى إلى هذه الحال الموجودة، وهؤلاء اغتروا بنظرياتهم الخاطئة المبنية على ظنون عقول من أصلها فاسدة، وتركوا لأجلها جميع العلوم الصحيحة، خصوصا ما جاءتهم به الرسل، وصدق عليهم قوله تعالى: **(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)** [غافر:٨٣]، وهؤلاء أمرهم ظاهر لجميع المسلمين، ولجميع المثبتين وجود الباري، يعلمون أنهم أضل الطوائف، ولكن تسرب على بعض المسلمين من هذا المذهب الدهري بعض الآثار والفروع المبنية على هذا القول"(١).

- سبب الإلحاد، ودواعي انتشاره:

قرر الشيخ في كثير من المواضع أن سبب الإلحاد هو اتباع العقل واعماله فيما لا اختصاص له فيه، وبين أن العقول قاصرة وغير مؤهلة لاكتشاف جميع العلل والحكم للكون وحوادثه، وأن العقول مهما نضجت لابد لها من الزلل والاضطراب في ظل بعدها عن خالقها.

يقول الشيخ رحمه الله: "إن ملاحدة الفلاسفة المعطلين لله ولكتبه ورسله، المكذبين لهم أوقعتهم عقولهم الفاسدة في الهلاك، حيث حكموها في البحث عن علة إيجاد هذا الكون فلم تهتدي لذلك لقصورها وتقصيرها، فزعم كثير منهم أن هذا العالم قديم، وأنه لم يزل ولا يزال؛ وبذلك أنكروا وجود الرب العظيم. ومن باب أولى أنكروا رسله، وكتبه وتضاربت نظرياتهم

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١٧٨/١).

الفاسدة فضلوا وأضلوا. ولقد صدق عليهم قوله تعالى: **(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)** [غافر:٨٣] ثم إن هؤلاء الفلاسفة الملاحدة في هذه الأوقات أبطلوا بأنفسهم نظرية أسلافهم وأحدثوا لهم نظريات متعددة متضاربة، مبنية على الخرص، والجهل المركب ولم يزالوا في اضطراب. وهذه حالة كل من ترك الحق واستكبر عنه وتاه بعقله، قال تعالى: **(بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ)** [قّ:٥]"(١).

- أما عن دواعي انتشار الإلحاد.

يقرر الشيخ أن سبب انتشار الإلحاد هو كثرة الفتن في آخر الزمان، وإقبال الناس على الدنيا وزهدهم في العلم والتفقه في الدين، وارتباطهم بالمادة، وكذلك وقوعهم في الشهوات المحرمة، وملابستهم الشبهات بغير علم.

يقول الشيخ رحمه الله: "فإنه ﷺ أخبر، أنه في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه، ويكثر الشر وأسبابه، وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقل القليل، وهذا القليل في حالة شدة ومشقة عظيمة، كحالة القابض على الجمر، من قوة المعارضين، وكثرة الفتن المضلة، فتن الشبهات والشكوك والإلحاد، وفتن الشهوات وانصراف الخلق إلى الدنيا وانهماكهم فيها، ظاهرا وباطنا، وضعف الإيمان، وشدة التفرد؛ لقلة المعين والمساعد؛ ولكن المتمسك بدينه، القائم بدفع هذه المعارضات والعوائق التي لا يصمد لها إلا أهل البصيرة واليقين، وأهل الإيمان المتين، من أفضل الخلق، وأرفعهم عند الله درجة، وأعظمهم عنده قدرا.

وأما الإرشاد، فإنه إرشاد لأمته، أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة، وأن يعرفوا أنه لا بد منها، وأن من اقتحم هذه العقبات، وصبر على دينه

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية (ص: ٤٨-٤٩).

وإيمانه –مع هذه المعارضات– فإن له عند الله أعلى الدرجات، وسيعينه مولاه على ما يحبه ويرضاه؛ فإن المعونة على قدر المؤنة.

وما أشبه زماننا هذا بهذا الوصف، الذي ذكره ﷺ، فإنه ما بقي من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، إيمان ضعيف، وقلوب متفرقة، وحكومات متشتتة، وعداوات وبغضاء باعدت بين المسلمين، وأعداء ظاهرون وباطنون، يعملون سرا وعلنا للقضاء على الدين، وإلحاد وماديات، جرفت بخبيث تيارها وأمواجها المتلاطمة الشيوخ والشبان، ودعايات إلى فساد الأخلاق، والقضاء على بقية الرمق، ثم إقبال الناس على زخارف الدنيا بحيث أصبحت هي مبلغ علمهم، وأكبر همهم، ولها يرضون ويغضبون، ودعاية خبيثة للتزهيد في الآخرة، والإقبال بالكلية على تعمير الدنيا، وتدمير الدين، واحتقاره والاستهزاء بأهله، وبكل ما ينسب إليه، وفخر وفخفخة، واستكبار بالمدنيات المبنية على الإلحاد التي آثارها وشرها وشرورها قد شاهده العباد. فمع هذه الشرور المتراكمة، والأمواج المتلاطمة، والمزعجات الملمة، والفتن الحاضرة والمستقبلة المدلهمة –مع هذه الأمور وغيرها– تجد مصداق هذا الحديث. ولكن مع ذلك، فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصورا على الأسباب الظاهرة. بل يكون ملتفتا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب، الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعده الذي لا يخلفه، بأنه سيجعل له بعد عسر يسرا، وأن الفرج مع الكرب، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات، وحلول المنغصات. فالمؤمن من يقول في هذه الأحوال: "لا حول ولا قوة إلا بالله" و "حسبنا الله ونعم الوكيل. على الله توكلنا. اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى. وأنت المستعان. وبك المستغاث. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ويقوم بما يقدر عليه من الإيمان والنصح والدعوة. ويقنع باليسير، إذا لم يمكن الكثير. وبزوال بعض الشر وتخفيفه، إذا تعذر غير ذلك **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ**

مَخْرَجًــــا) ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٢-٤][(١)].

- الوقاية من خطر الإلحاد:

أكد الشيخ أن أهم الأسباب التي تقي المسلم من ولوج باب الإلحاد هو حراسة الخواطر والأفكار عن الاسترسال مع العقل فيما يلقيه الشيطان في النفس، وما يتعرض له الإنسان من شبهات، وأن الأمر يحتاج إلى الاستعاذة بالله والاستعانة به، ثم الانتهاء والتوقف عن ذلك، لأن العقل له حد معين لا يتعداه ولا يتخطاه.

يقول الشيخ رحمه الله في شرحه لحديث "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته"[(٢)]: "احتوى هذا الحديث على أنه لا بد أن يلقي الشيطان هذا الإيراد الباطل: إما وسوسة محضة، أو على لسان شياطين الإنس وملاحدتهم، وقد وقع كما أخبر، فإن الأمرين وقعا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم بصيرة هذا السؤال الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يلقون هذه الشبهة التي هي أبطل الشبه، ويتكلمون عن العلل وعن مواد العلم بكلام سخيف معروف.

وقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم إلى دفع هذا السؤال بأمور ثلاثة: بالانتهاء، والتعوذ من الشيطان، وبالإيمان.

أما الانتهاء - وهو **الأمر الأول** -: فإن الله تعالى جعل للأفكار والعقول حدا تنتهي إليه، ولا تتجاوزه. ويستحيل لو حاولت مجاوزته أن تستطيع، لأنه محال، ومحاولة المحال من الباطل والسفه، ومن أمحل المحال التسلسل في المؤثرين والفاعلين. فإن المخلوقات لها ابتداء، ولها انتهاء. وقد

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٢٢٠-٢٢١).
(٢) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

تتسلسل في كثير من أمورها حتى تنتهي إلى الله الذي أوجدها وأوجد ما فيها من الصفات والمواد والعناصر (ثى ثي جح جم حج) [النجم:٤٢]، فإذا وصلت العقول إلى الله تعالى وقفت وانتهت، فإنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء. فأوليته تعالى لا مبتدأ لها مهما فرضت الأزمان والأحوال. وهو الذي أوجد الأزمان والأحوال والعقول التي هي بعض قوى الإنسان. فكيف يحاول العقل أن يتشبث في إيراد هذا السؤال الباطل. فالفرض عليه المحتم في هذه الحال: الوقوف، والانتهاء.

الأمر الثاني: التعوذ بالله من الشيطان. فإن هذا من وساوسه وإلقائه في القلوب؛ ليشكك الناس في الإيمان بربهم، فعلى العبد إذا وجد ذلك: أن يستعيذ بالله منه، فمن تعوذ بالله بصدق وقوة أعاذه الله وطرد عنه الشيطان، واضمحلت وساوسه الباطلة.

الأمر الثالث: أن يدفعه بما يضاده من الإيمان بالله ورسله، فإن الله ورسله أخبروا بأنه تعالى الأول الذي ليس قبله شيء، وأنه تعالى المتفرد بالوحدانية، وبالخلق والإيجاد للموجودات السابقة واللاحقة.

فهذا الإيمان الصحيح الصادق اليقيني يدفع جميع ما يضاده من الشبه المنافية له، فإن الحق يدفع الباطل. والشكوك لا تعارض اليقين.

فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ تبطل هذه الشبه التي لا تزال على ألسنة الملاحدة، يلقونها بعبارات متنوعة. فأمر بالانتهاء الذي يبطل التسلسل الباطل، وبالتعوذ من الشيطان الذي هو الملقي لهذه الشبهة، وبالإيمان الصحيح الذي يدفع كل ما يضاده من الباطل. والحمد لله فبالانتهاء: قطع الشر مباشرة. وبالاستعاذة : قطع السبب الداعي إلى الشر. وبالإيمان اللجأ والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني الذي يدفع كل معارض.

وهذه الأمور الثلاثة هي جماع الأسباب الدافعة لكل شبهة تعارض الإيمان. فينبغي العناية بها في كل ما عرض للإيمان من شبهة واشتباه يدفعه العبد مباشرة بالبراهين الدالة على إبطاله، وبإثبات ضده وهو الحق الذي

ليس بعده إلا الضلال، وبالتعوذ بالله من الشيطان الذي يدفع إلى القلوب فتن الشبهات، وفتن الشهوات، ليزلزل إيمانهم، ويوقعهم بأنواع المعاصي. فبالصبر واليقين: ينال العبد السلامة من فتن الشهوات، ومن فتن الشبهات. والله هو الموفق الحافظ"[1].

- **الإلحاد المعاصر:**

لعله لم ينتشر الإلحاد في زمن من الأزمنة انتشاره في هذا الزمان الذي تيسرت فيها وسائل التواصل بين الشعوب والأفراد وتمكن الجميع من بث أفكاره ونشرها، وقد بين الشيخ رحمه الله أن الملحدين في هذا العصر روجوا للإلحاد بصورة تبدو مقبولة لدى المتلقين لسمومهم.

يقول الشيخ رحمه الله: "وقد عرف هؤلاء الأعداء المتأخرون مكابرة إخوانهم الذين باشروا تكذيب الرسول، ورأوا أن مقالتهم قد بطلت واضمحلت، وبان زورها لكل أحد، صاغها هؤلاء المكذبون بعبارة موهوها وظنوا أنها بهذا التمويه تروج، فزعموا - وما أسمجه وأكذبه من زعم - أن محمدا كان يتعلم من نفسه؛ وأنه كان يخلو بالطبيعة؛ السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم، فيعطيها لبه، ويناجيها بقلبه، فيخيل إليه أصناف التخاييل، فيأتي بها إلى الناس زاعما أنها من وحي الله على يد جبريل، وأن هذه التخيلات من الأمور العالية التي يعتاد الإتيان بها أهل الرأي والحجى. ولما رأوا آثارها الجليلة في الإسلام وأهله، وتعاليمه وتقويمه للأمم، وبهرهم هذا النور العظيم لجأوا إلى هذا التحذلق الذي منتهاه وغايته أنهم صوروا النبي ﷺ ورقوه إلى رجل من الطبيعيين، كما قال هذا القول الباطل أحد ملاحدة الإفرنسيين، وتلقاها عنه بعض الملاحدة العصريين، وهو مبني على إنكار وجود رب العالمين، وأنه ما ثم إلا عمل الطبيعة، وقد علم الناس أن هذا القول المزور أعظم مكابرة ومباهتة من قول الأولين، وأن هذا الافتراء

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (ص:٢٧-٢٨).

الذي ولدوه بعد مئات السنين أوضح ضلالا وظلما وجراءة ووقاحة من زور الأولين، وأن هؤلاء الأراذل الذين أعجبوا بآرائهم وتاهوا بعقولهم قد بين الله كذبهم فيما قالوه، وأن عقولا ولدت هذه الأقوال المؤتفكة والخيالات الفاسدة والمقالات الفاسدة لعقول سافلة وآراء ساقطة، يعرف فسادها بنتائجها ومكابرتها، وإنكارها أجلى الحقائق، ولهذا قال تعالى: **(قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [الفرقان: ٦]؛ فالرب القادر العظيم، الذي أحاط علمه بجميع الأسرار، وعلم أحوال العباد حاضرها ومستقبلها، فأنزله لهدايتهم، وجعله منارا وعلما يهتدي به المهتدون في كل وقت وحين. فجميع الحقائق التي دعا إليها هذا الرسول وهذا القرآن حقائق ثابتة نافعة للعباد، لا يأتي من الحقائق ما يغيرها، ومحال أن يأتي شيء أصلح منها أو مثلها أو يقاربها: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة: ٥٠]، ومن كمال علمه وقدرته أنه لو تقول عليه أحد بمثل هذه المقالة لعاجله بالعقوبة، فلما أيد من جاء بها بنصره وحججه، ورأى العباد آياته في الآفاق وفي أنفسهم، التي يتبين بها أنه الحق، وما سواه ضلال، علم بذلك أن هذا الرسول أصدق الخلق وأنصحهم وأبرهم وأعلمهم وأخشاهم وأتقاهم لربه، وأن أعداءه المكذبين له أكذب الخلق وأغشهم، وأعظمهم جهلا وضلالا وغيا وفسادا في كل زمان ومكان"[1].

- رد المذهب الإلحادي، والمنهج العام للشيخ في بيان ذلك:

لما كان أهل الإلحاد منكرين لوجود الحق سبحانه ولا يؤمنون بكتابه ولا بسنة رسوله ﷺ، كان لزاما ألا يحتج عليهم أحد بقول الله ولا بقول رسوله ﷺ، وقد انتهج الشيخ رحمه الله هذا المنهج، فناقش الملحدين من منطلق العقل والمنطق، واحتج عليهم بما لا يستطيع عقل سليم أن ينكره.

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/٣٦-٣٧).

يقول الشيخ رحمه الله: "فوجود جميع الأشياء في العالم العلوي والسفلي وبقاؤها وما هي عليه من الأوصاف المتنوعة، كل ذلك من الأدلة والبراهين على وجود مبدعها ومعدها وممدها بكل ما تحتاج إليه، ومن أنكر هذا فقد باهت وكابر وأنكر أجلى الأمور وأعظم الحقائق. ومن هاهنا تعلم أن الماديين الملحدين أضل الخلق وأجهلهم وأعظمهم غرورا واغترارا حيث اغتروا حين وقفوا على بعض علوم الكون الأرضي المادي الطبيعي، وقفت عقولهم القاصرة عندها، واستولت عليهم الحيرة وتكبروا بمعارفهم الضئيلة وقالوا: نثبت ما وصلت إليه معارفنا وننفي ما سواه، فتعرف بهذا أن نفيهم هذا جهل وباطل باتفاق العقلاء، فإن من نفى ما لا يعرفه فقد برهن على كذبه وافترائه، فكما أن من أثبت شيئا بلا علم فهو ضال غاو، فكذلك من نفى شيئا بلا علم، وتعرف أيضا أن إثباتهم لعلوم الطبيعة التي عرفوها وانتهت إليها معارفهم أن هذا الإثبات منهم قاصر لم يصلوا إلى غايته وحقيقته، فلم يصلوا بذلك إلى خالق الطبيعة ومبدعها، ولم يعرفوا المقصود من نظامها وسببيتها؛ بل عرفوا ظاهرا منها وهم عن النافع غافلون، فأثبتوا بعض السبب وعموا عن المقصود، وهم في علمهم هذا حائرون، لا تثبت لهم قدم على أمر من الأمور، ولا تثبت لهم نظرية صحيحة مستقيمة، فهم دائما في خلط وخبط وتناقض، وكلما جاءهم من البراهين الحق ما يبطل قولهم قالوا: هذا من فلتات الطبيعة، وكلما برز مبرز من فحولهم وأذكيائهم ابتكر له طريقة غير طريقة إخوانه؛ فصدق عليهم قوله تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) [ق:٥] وقوله: **(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)** [غافر:٨٣] والمقصود أن هذا الأصل العظيم قد دلت عليه جميع الأدلة بأجناسها وأنواعها، ودل عليه الشرع المحكم والقدر العام المنظم، ولم يقدح فيه إلا هؤلاء الضُّلَّال الذين كان قدحهم فيه أسقط اعتبارهم، وبرهن على فساد عقولهم"[(١)].

---

(١) تفسير السعدي (١/٣٤٠-٣٤٢).

المبحث الثالث: مصنفات الشيخ في مناقشة الملحدين ومنهجه في الرد عليهم:

لم يقتصر دور العلامة عبد الرحمن السعدي في التصدي للإلحاد وأهله على مجرد ردود متفرقة في مؤلفاته وكتابته المختلفة، حيث كان رحمه الله يعلم- بما حباه الله من بصيرة- مدى هذا الخطر الزاحف إلى ديار المسلمين، وأنه يشبه المرض الخبيث الذي يداهم صاحبه دون أن تظهر له أي أعراض ظاهرة حتى يتمكن من القضاء عليه.

ومن منطلق هذه البصيرة أفرد الشيخ هذا الموضوع بالتصنيف؛ لينبه من ناحية على هذا الخطر المتسلل من الخارج إلى عقر ديار المسلمين، ومن ناحية أخرى ينصح من ابتلاهم الله بهذا الداء العضال بسرعة الفيء والتوبة، وثالثا ليحذر أبناء المسلمين أن يتسلل الشك إلى عقولهم فيجد الإلحاد طريقا سهلا لاختراق قلوبهم.

وقد صنف الشيخ ثلاثة كتب -فيما وقفت عليه- تتناول الرد على الملحدين، وهدم أصولهم، وهي:

- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.
- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.
- انتصار الحق.

وفيما يلي وقفة سريعة مع كل رسالة من هذه الثلاث حتى نتعرف على ما بذله الشيخ من جهود في هذا الأمر العظيم، والمنهج الذي اتبعه في الرد على دعاة الإلحاد

وقفات مع رسالة: "تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله".

تعد هذه الرسالة نموذجا عمليا يجسد شخصية الشيخ في ميدان الرد على المخالفين، وتبين مدى غيرته على الدين، ومقدار نصحه للإسلام وأهله، وقوته في الحق، ورسوخه في العلم، وبيان حجته، كل ذلك مع سهولة العرض، وجزالة الأسلوب، ووضوح العبارة، ودقة المعاني، وإسهاب الرد. وفيما يلي استعراض أهم العناصر التي اشتملت عليها هذه الرسالة.

- سبب تصنيف هذه الرسالة:

من منهج الشيخ رحمه الله في الرد على المخالف أن يبين سبب الــرد وأن الأمر لا يعدو النصح لله وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عــن المنكــر الذي هو شعار دين الإسلام الحنيف. ولا يغفل حق المخالف من ذكر محاسنه والثناء عليه إن وجد إلى ذلك سبيلا.

يقول الشيخ رحمه الله: "فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي، سمَّاه: (هذه هي الأغلال)؛ فإذا هو محتو على نبــذ الــدين، والدعاية إلى نبذه والانحلال عنه من كل وجه، وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروف بالعلم والانحياز لمــذهب الســلف الصــالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحــق والــرد علــى المبتــدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعه حسنة، فلم يرع الناس في هذا العام حتى فاجئهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً..... فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من لــيس له بصيرة بكلامه"(١).

- نظرة اجمالية في كتاب القصيمي:

ومن منهج الشيخ رحمه الله أن يتكلم عن منهج المخالف على وجــه الإجمال قبل التصدي والرد المفصل على بدعه وافترائه.

قال رحمه الله: "من نظر في كتاب القصيمي وتأمله حق تأمله؛ عرف أنه ما كُتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفرا منــه، وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل، ولا افترى مفتر على الدين كافترائه، ولا حرف أحد له نظير تحريفاتــه، ومــا صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه

---

(١) تنزيه الدين (ص:٣-٤).

وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته؛ فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابذته ومنافقته ثلاثة لا تبقى من الشر شيئا إلا تضمنته؛ فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية، وخروج تام عن عقائده وأصوله؛ فضلا عن فروعه، وهو أكبر دعاية للإلحاد، ومقاومة للدين وأهله، وفيه من البهرجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر:٤٣] ... إلخ"(١).

وقال رحمه الله: "...وهذا القصيمي يقول: ما هي إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم وتدبره وتنظم الأمور الجليلة والدقيقة وأنكر قضاء الله وقدره ورجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة وهذا إنكار منه لله ولأفعاله ولصفاته، وكما أنكر توحيد الربوبية، فقد أنكر توحيد الإلهية والعبادة ولم يرتض بما قاله المشركون بل أنكر عبادة الله بالكلية، وأنكر الافتقار إليه وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم، وملأ كتابه من السخرية بهم، وكما أنكر الربوبية والألوهية والرسالة إذ فسرها بذلك التفسير الخبيث الذي يرجع إلى نفي الرسالة فقد أنكر عقوبات الله ومثوباته الدنيوية والأخروية، وأنكر أسبابها وسخر بالمؤمنين بها، وكذلك رمى جميع طبقات الأمة وخص منهم العلماء الأعلام وهداة الأنام بضعف العلم والعقل والرأي، وأوجب الكفر بهم وبعلومهم وبما قالوه وصنفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع، وجعلهم مجرمين يستحقون العقوبة وأهدر فضائلهم بالكلية، وأكبر من ذلك وأطم أنه باهت وصرح بتحقير الأنبياء تحقيرا لم يصل إليه ملحد إذ صرح بأن جميع الرسل والأنبياء والهداة من أتباعهم لم ينفعوا الناس في الحياة بشيء من النفع، ولم يقدروا أن يصيروا فيها مخلوقات متألقة لهم فضائل يهتدي بها، وكما رمى الأنبياء وأهل الأديان

(١) تنزيه الدين (ص:٦).

الصحيحة كلهم ولم يستثن منهم أحدا فإنه عظم زنادقة الملحدين الأولبين منهم والآخرين وأوجب الأخذ عنهم والحذو على منوالهم... إلخ"[1].

- **إشارة لطيفة إلى محاسن الإسلام:**

عقد الشيخ رحمه الله قبل الرد على القصيمي وإبطال زعمه فصلا تكلم فيه عن محاسن الإسلام وأنه دين شامخ لا تتأثر أصوله بحقد الحاقدين ولا بشبه المبطلين.

فقال رحمه الله: "ولما كان هذا الكتاب- يعني أغلال القصيمي- موجها إلى قلب الدين وروحه، وإلى هدم علومه وأصوله وقواعده وجميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله على أعظم الحقائق وأجلها وأنفعها وعلى البراهين الساطعة والأنوار المتلألئة؛ يدفع ويبطل كل ما يقوم في وجهه الشبهات ويقاومه من الأقوال الباطلة؛ أحببت أن أشير إشارة لطيفة قبل إبطال قول هذا الكتاب إلى بعض محاسن هذا الدين وأنه لا سبيل لأحد من الخلق أن يعطل شيئا من أصوله وقواعده وأسسه، وأن هذا الدين العظيم تزول السموات والأرض والجبال وأصوله راسيات وقواعده ثابتات وأنواره مشرقة وبراهينه للباطل محرقة، فهو الميزان الأعظم الذي توزن به الأمور العقلية والأمور الدنيوية وأبين عند ذلك منافتها لقول هذا الكتاب... إلخ"[2].

دعاء الشيخ للقصيمي:

ثم استهل الشيخ رده على القصيمي بكلمة تدل على مدى انصافه رحمه الله وأن الغاية من الرد هي الدفاع عن الدين ليس غير، وأنه ليس بينه وبين أحد أي عداوات إلا ما يوجبه الدين، ثم ختم كلمته بدعاء للقصيمي أن يرده الله للحق.

---

(١) نفس المصدر (ص: ٧-٨).

(٢) تنزيه الدين (ص:٩).

فقال رحمه الله: "ونحن نكتب ما يجب علينا كتابته من رد اعتداءاته على الدين، والتنبيه على بطلانها، كما هو الواجب المتعين على كل مسلم، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالتوبة، والتنصل ونقض ما كتبه واجترأ عليه"(١).

الأصلان اللذان بنى عليهما القصيمي باطله:

ومن منهجه رحمه الله أن يؤصل منهج المخالف ويجمع شتات قوله تحت أصول عامة يسهل الرد عليها؛ لذلك شرع في بيان الأصلين اللذين بنى عليهما القصيمي بحوثه الباطلة:

فقال رحمه الله: "واعلم أن مدار ما بنى عليه بحوثه الباطلة واحتج لها وبرهن عليها؛ أمران:

أحدها: أن المسلمين في هذه الأوقات الأخيرة متأخرون عن غيرهم في الفنون العصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة بأنواعها.

الثاني: أن غيرهم في هذه الأمور مهر في هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار.

ثم بنى على هذين الأمرين جميع بحوثه الباطلة ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال"(٢).

بداية الرد على ضلالات القصيمي:

الرد على إنكار القصيمي للقضاء والقدر:

ومن منهجه رحمه الله في رده على المخالف أن يبدأ بقضايا الإيمان؛ الأهم فالمهم، فبعد رده على المخالف إجمالا وعلى وجه العموم بدأ يرد على أمهات قضايا الإيمان.

---

(١) نفس المصدر (ص:٩).

(٢) تنزيه الدين (ص:٩-١٠).

قال الشيخ رحمه الله: "... هذا الكاتب الذي يقول إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين ويضعفهم وأنه يجب عليهم ترك ذلك وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر كما صرح بذلك في صفحات (١٧)، (٢٩)، (٢٦٨)، (٣١٥) من كتابه، ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقة المتبعين لإرشادات دينهم وتعاليمه هم المتوكلون على الله حقيقة، وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب امتثالا لأمر ربهم وطلبا لمصالحهم واستمدادا من قوته وارتقابا لثوابه، وأن الدين الإسلامي يبطل الطريقين الذميمين:

- طريق العجز والضعف الذي يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله وإنما هو مهين ساقط الهمة معتذر بما لا يعذر به
- وطريق الملحدين المعطلين الذين يعتمدون على الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بمنعها ولا له قدرة على معارضتها كما قرره صاحب هذا الكتاب في ثنايا كتابه خصوصا في الفصل الأخير المعنون ب (مشكلة لم تحل) ... إلخ"[١].

الرد على إنكاره الثواب والعقاب:

قال الشيخ رحمه الله: "وقد سلك أيضا مسلك الدهريين الذين يقولون ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية:٢٤]؛ المنكرين للثواب والعقاب؛ حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح سبب للثواب العاجل والآجل، وأن الكفر والفسوق والعصيان أسباب للعقوبات العاجلة والآجلة، وتهكم بذلك وبالقائلين به المعتقدين له كما صرح به وردده في الصفحات (٣٥)، (١٦٥)، (١٧٨)، (٣١٥)، (٣١٩)، (٣٢٥)، والسبب الوحيد عنده في المصائب الدنيوية وضدها إنما هي الأسباب المادية فقط، وعمل الطبيعة... إلخ "[٢].

---

(١) تنزيه الدين (ص:١٢).

(٢) تنزيه الدين (ص:١٢-١٣).

الرد على زعمه أن علماء المسلمين سلفا وخلفا لم يفهموا الدين:

قال الشيخ رحمه الله: "وزعم من بهرجته التي لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين وأنه مستحيل أن يسعوا في مصالحهم، وغير ممكن لهم ذلك إلا بنبذه وأنه قيود تمنع التقدم كما صرح بذلك في صفحات (١٧)، (٣٦)، (٦٧)، (٦٨)، (٧٧)، (٩٧)، (١٤٠)، (٣١٥)، من كتابه، وهذه دسيسة خبيثة، فإن كل أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم أن هذه المباحث التي اشتمل عليها كتابه منافية للدين بالكلية، ومناقضة له من كل وجه، ولكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول: ليس دين الإسلام ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم، وإنما هو شيء آخر مجهول عندهم، وقد علمه هذا الكاتب وهو ما أراده وسعى إليه من معانقة دين الملحدين ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين... إلخ"(١).

الرد على زعمه أن الدين قيود وأغلال:

قال الشيخ رحمه الله: "وزعم هذا الكاتب أن التقييد بالإيمان بالله وبما أخبر الله به على ألسنة رسله قيد وغل يحول بين الإنسان وبين المطالب العالية النافعة، ويقيده عن عبادة الطبيعة التي هي الغاية عند أمثال هؤلاء، فيحق لمن كان هذا منتهى مراده وطلبه أن يكون أول من يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس:٧-٨]، وفي قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥﴾ [هود:١٥] إلى آخر الآيات، ثم إن هؤلاء المنحرفين الملحدين الذين انخدع هذا الكاتب بدعايتهم الخبيثة يدعون إلى نبذ

(١) تنزيه الدين (ص:١٦).

كل قديم واعتناق كل جديد، وقد أبدى هذا الكاتب في هذا وأعاد وكرر ذلك؛ مريدا بهدم القديم هدم أصول الدين وقواعده كما تجده في صفحات (١٦)، (٣٧)، (٦٤)، (٦٩)، (٧٠)، (٩٦)، (١٦٠)، (٣٠٢)، من كتابه، وغيرها من الصفحات وهذه الدعاية الخبيثة مقصودها الأعظم وأساسها الذي بنيت عليه رفض الشرائع والأديان، والانحلال من قيود الدين وحله وتحريمه وجميع أحكامه، والانخراط في سلك المعطلين لرب العالمين المنحلين من جميع شرائع الدين، وأول ما يُدخلون في هذا الأصل الباطل رفض ما جاء به الرسول ﷺ من أصول وأخلاق وأعمال وغيرها، وتوصلوا بهذا إلى الطعن في خير القرون وإهدار أقوالهم وعقائدهم وعلومهم، بل وجميع محاسنهم والحمل على حمله الشريعة وأئمة الهدى ومصابيح الدجى.... إلخ"[1].

الرد على زعمه أن المسلمين يطلبون الفقر والضعف ويحثون عليه:

قال الشيخ رحمه الله :"ومن تمويهاته الشنيعة التي يريد بها محاربة الدين وأهله أن يزعم أن المسلمين يحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب ويطلبونها ويسعون في تحصيليها بكل طريق، ويسخر منهم ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر والأمراض وأنواع المصائب كما صرح بذلك في الصفحات (١٢٦)، (١٤٠)، (٣١٩)، وكذلك جميع النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة وهذا من باب قلب الحقائق فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامي حيث أرشد أهله إلى التربية العالية التي هي أنفع التربيات وأجلها وأكثرها آثارا حميدة فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في فصل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن التي لابد للخلق كلهم منها في هذه الدار وذكر فضائل الصابرين وما لهم عند الله من الثواب وذلك ليوطنوا أنفسهم على

(١) تنزيه الدين (ص:٢٠-٢١).

تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى وفقر، ومن يسر إلى عسر، ومن بأساء إلى خير وسراء، ومن عافية إلى مرض، ويعلمهم كيف يتقبلون هــذه الأمــور اللازمة للبشر في أطوار حياتهم... إلخ"[١].

الرد على زعمه أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق:

قال الشيخ رحمه الله: "ومن مباحث هذا الكتاب الضارة التي بلغت في الفظاعة وبلغت في الخلاعة مبلغا ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحد له أدنى عقل وبصيرة من الأولين والأخرين ما يبديه ويعيده ويكرره أن الإنســانية لا تزال في تطورها وترقيها حتى تصل إلى الاتصــاف بصــفات الــرب العظيم- إن كان يثبته بلفظه- فالإنسان بزعمه يمكنه أن يكون بكــل شــيء عليما، وعلى كل شيء قديرا، وأنه قد علم ما كان في أول الموجودات ومــا يكون من آخرها، وأنه علم مبدأ هذه الخليقة، وخلَّف علــوم الرســل خلــف ظهره، وهو يحاول علم ما سيكون في هذا العالم؛ بل علم مقدار ما بقي من عمر هذا العالم، وقد علم حالة العالم السفلي وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوي، وصنع الصور والأجسام وهو يحاول أن ينفخ فيها الــروح؛ فهــو لا يستبعد ايجاده للحيوان الصناعي والإنسان الصناعي؛ غير مبال بتكذيبه لله ورسله؛ فقد زعم أنه قد يتمكن أن يُوجد الحيوانات، ويزعم أن التفريق بــين الخالق والمخلوق أكبر الأغلاط وأنه يجب أن لا نفرق بين الــرب العظــيم وبين الإنسان وأن من فرق بينهما فلجهله وضلاله وغلطه؛ كما صرح بذلك في هذه الصفحات من كتابه المــذكور (٣٨)، (٥٨)، (٦٧)، (٧٠)، (٧٧)، (٧٨)، (٩٧)، فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع- وهو تضليله للمفــرقين بين الله وبين خلقه- كل رسول أرســله الله إلــى الخلــق وفــي مقــدمتهم محمد ﷺ فضلا عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى؛ فإن زبدة ما جاءت بــه

---

(١) تنزيه الدين (ص:٢٤-٢٥).

الكتب السماوية والرسل العظام هو توحيد الباري واعتقاد انفـــراده بجميـــع معاني الكمال المطلق الذي لا تدركه العبارات ولا تتصوره الأفكار.. إلخ"(١).

الرد على زعمه أن إثبات وجود الرب مشكلة لا حل لها:

قال الشيخ رحمه الله: "ثم انظر إلى المبحث الأخير من كتابه الـــذي عنوانه: (المشكلة التي لم تحل) في صفحة (٣١٥)، وما بعدها إلـــى آخـــر كتابه؛ كيف أتى فيه بالطامات والفظائع وأنكر المنكـــرات، وكيـــف حـــاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيتـــه وأفعالـــه مـــن أشـــكل المشكلات، وهي أصل الأمور وأوضحها وأجلاها براهين، ثم صرح بهـــذه الجراءة التي ما وصل إليها أحد من البشر إلا فرعون وأشباهه الذين أنكروا رب العالمين وجحدوه بالكلية، وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة فجميع الكتب المنزلة من الله؛ التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وجميع ما قالته الرسل عموما وقاله سيدهم وإمامهم خصوصا وجميع العلماء الربانين والهداة المهتدين والحكماء والأساطين؛ الجميع عنـــده لـــم يعرفـــوا الإيمان بالله ولم يحلوا هذه المشكلة التي زعمها فبقيت عند هـــؤلاء مشـــكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد عند هذا الكاتب .... إلخ".

وقفات مع رسالة "الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين".

وهي رسالة صغيرة اعتنى فيها الشيخ بالرد على الملاحدة المنكـــرين لوجود الله عز وجل، وكان أكثر عنايته في هذه الرسالة بنقض أصل فاســـد أصّلَهُ معلمهم الأول "أرسطو"، المعروف بقول وجود إلهاً لا يتحرك، والعالم يدور حوله كحركة العاشق بالمعشوق، وقد نقض الشيخ هذا الأصل، وبـــين بطلانه من ثلاثة وثمانين وجها. وهذه الرسالة مع أنها صغيرة الحجم فإنهـــا عظيمة النفع لما اشتملت عليه من ردود رصينة وقوية تكشف بطلان دعوى

(١) تنزيه الدين (ص:٣٠-٣١).

هؤلاء الملاحدة الكفرة. وقد فرغ الشيخ ابن سعدي من تأليف هذه الرسالة في ١٤ رجب سنة ١٣٧٢هـ[(١)].

منهج الشيخ في هذه الرسالة:

بين الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة أن الأصول التي بنى عليها الملاحدة بنيانهم ترجع إلى أصل واحد فاسد؛ فقال: "وأعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول أرسطو اليوناني المعروف بالإلحاد والجحد لرب العالمين والكفر به، وهو: "أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه"، وكملوا هذا الأصل الخبيث بحصرهم للمعلومات بالمحسوسات، وما سوى ما أدركوه بحواسهم نفوه"[(٢)].

ثم ذكر الشيخ أنه سيقوم بالرد على هذا الأصل من خلال كلام شيخ الإسلام أولا، ثم يتم هو من كلامه ما تيسر معللا ذلك بقوله: "فإنه -أي شيخ الإسلام- بين عدة وجوه في فسادها وبطلانها، وكل وجه منها كاف في إبطالها؛ فكيف إذا اجتمعت فننقل كلامه عليها ثم نتم ذلك بما ييسره الله"[(٣)].

ثم ذكر الشيخ خمسة أوجه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد هو عليها ثمان وسبعين وجها، يتخلل بعضها كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية، فكان حاصل هذه الأوجه ثلاثة وثمانين وجها.

وكانت هذه الأوجه بمجموعها تمثل جبهة قوية لضرب أصول الإلحاد في كل زمان ومكان، ولا غنى لأهل العلم عن دراستها والنظر فيها،

---

(١) ينظر: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، (ص:٤٤).

(٢) الأدلة القواطع (ص:٤).

(٣) المصدر السابق.

ولا غنى كذلك للعامة عن دراستها وفهمها على يد الناصحين من أهل العلم وطلبته.

ذكر بعض الأوجه التي ذكرها الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة ردا على الملاحدة:

- اضطرار الناس إلى الرسل والرسالات:

قال رحمه الله في الوجه السابع: "فإن الإنسان خلق ظلوما جهولا ليس فيه هدى، ولا علم صحيح، ولا برهان ويقين في المطالب العالية المقصودة، إلا من جهة الطرق التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولهذا كانت النبوة والرسالة يضطر إليها المكلفون أعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب، وما به من قوام حياتهم المادية؛ فالعلم والهدى الإجمالي والتفصيلي هو هدى الله، فلا يليق برحمة الله وحكمته وحمده أن يترك العباد مهملين سدى بلا رسالة وتعريف لهم ما يصلحهم حالا ومآلا؛ فأرسل الرسل وأنزل الكتب حكمة منه ورحمة، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، فيقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾ [المائدة:١٩]، فجميع الهدى والعلوم النافعة الموجودة في الأرض، والمعارف النافعة، والإيمان الصحيح، وتوابع ذلك من آثار النبوة والرسالة"[1].

- حقيقة قول الملاحدة:

قال رحمه الله في الوجه الحادي عشر: "إن هؤلاء – يعني الملاحدة– يعاندون الله ورسوله أعظم معاندة فالله يقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا

---

(١) الأدلة القواطع (ص:٧).

تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠]، وفي الصحيح أنه قال لمن قال له قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك؛ قال: " قل: آمنت بالله، ثم استقم"[١] أي على الإيمان، وهؤلاء الملحدون يقولون: امحوا هذه الأصول والعقائد- التي لا أصح منها ولا أنفع ولا يسعد العبد غيرها- من قلوبكم وشُكوا لتستحدثوا علوما وعقائد جديدة، تجيش بها القلوب المنحرفة والآراء الفاسدة والضمائر التي أعرضت عن الحق وعارضته وتوجهت إلى الباطل، وهذا لا ريب أنه مشاقة ومحاربة لله ورسله"[٢].

تناقض الملحدين:

قال رحمه الله في الوجه الثالث عشر: "أن المقصود الأعظم من هذا الأصل الخبيث[٣] الكفر بما جاءت به الرسل والانحلال عنه وإلا فأهله من أكذب الناس؛ فإنهم متمسكون غاية التمسك بما عليه أئمتهم الملحدون، وأقوالهم وعقائدهم مقدمة عندهم على ما جاءت به الرسل، ويتعصبون لها غاية التعصب؛ فلو كانوا صادقين محقين لوجب عليهم أن يمحوا من قلوبهم أقوال أئمتهم وعقائدهم التي مازالوا متمسكين بها ومقلدين لها تقليدا أعمى، فالغرض من كلامهم معروف، وهو قصدهم الانحلال من الدين الصحيح والتمسك بأقوال هؤلاء الضالين"[٤].

ماذا لو عمل الناس بأصل الملاحدة؟:

قال رحمه الله في الوجه الخامس عشر: "لو فرض وقدر أن الإنسان يمحو من قلبه كل عقيدة ويصير القلب خاليا من الحق والباطل ثم يزن بعقله

(١) مسلم (٣٨).

(٢) الأدلة القواطع (ص:١٠).

(٣) يعني قولهم "أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه".

(٤) الأدلة القواطع (ص:١١).

المستقيم العقائد الصحيحة النافعة التي جاءت بها الرسل بما يضادها من العقائد الأخرى، ويزنها بحق وعدل وانصاف وفهم صحيح فإنه يظهر له الفرق العظيم، ويتضح له أن من سوَّى بين ما جاءت به الرسل وبين غيره كالمسوِّي بين الليل والنهار والضياء والظلمة، فكيف بمن فضل الإلحاد على دين رب العباد فإن الحق بطبيعته وبراهينه يمحق الباطل ولا يبقى له معه قرار"(١).

قول الملاحدة باطل شرعا وعقلا:

قال رحمه الله في الوجه العشرين: "هؤلاء الملحدون حصروا العلوم المدركة في دائرة ضيقة؛ فما أدركوه بحواسهم وتجاربهم أثبتوه، وما لم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه؛ فأنكروا من أجل ذلك علوم الغيب كلها، وجحدوا ربوبية الله وأفعاله، وعطلوه من صفاته وأفعاله، إذ لم يدخل ذلك تحت مداركهم القاصرة، وهذا باطل شرعا وعقلا.

أما الشرع: فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل تبطل قولهم وحصرهم العلوم بمدركات الحس الظاهرة ونفيهم لما عداها، وتثبت بالبراهين اليقينية من علوم الغيب ومن العلوم التي لا تدرك إلا بالوحي من الحقائق النافعة الصحيحة والمعارف الصادقة مالا نسبة لعلومهم كلها إليها من أولها إلى آخرها.... إلخ.

وأما العقل: فجميع العقلاء المعتبرين يثبتون للعلوم مدارك غير مدارك الحس، فإن مدارك العلوم: الحس، والعقل، والأخبار الصادقة؛ فالأخبار الصادقة أعلاها وأصدقها وأحقها بالحق خبر الله وخبر رسله، وفي ذلك تبيان لكل شيء، وهدى للخلائق، وتوضيح للحقائق، وتنبيه للعقول على توجيهها لكل علم نافع، ويلزم على قول هؤلاء الملحدين إبطال ذلك كله حتى

(١) الأدلة القواطع (ص:١١).

يدركوه بحواسهم، وهذا ميراث محقق من مكذبي الرسل؛ الـذين ردوا مـا جاءت به الرسل بمجرد استبعادات، ونكروا ما لم يحيطوا به علمـا، وهـم لا يزالون ينقضون دليلهم الذي تمسكوا به فيثبتون تجارب ونظريات أخرى لهم ولقومهم تنفي ما أثبتوه وتثبت ما نفوه ولا يزالون هكذا في أمر مـريج حين كذبوا بالحق.

وقد ذكر الله الأسباب التي دعت أمثال هؤلاء إلى تكذيب الحق؛ وهو الجهل بما لم يحيطوا بعلمه، والتبجح بما عندهم من العلوم المخالفة لعلـوم الرسل، والكبر الذي في قلوبهم ما هم ببالغيه، وتقليـد أئمـتهم الضـالين؛ فضعف التمييز، وتقليد أئمة الملاحدة، والإعراض عما جاءت به الرسل من أكبر الأسباب التي مكنت هؤلاء من لزوم الباطل"(١).

المقارنة بين علوم الرسل وعلوم الملاحدة الماديين:

قال رحمه الله في الوجه الرابع العشرين: "انظر على أحوال الرسـل وأتباعهم كيف هدوا إلى كل عقيدة صالحة نافعة وإلى كل خلق جميل وعمل صالح، وكيف نهوا وحذروا عما يضاد ذلك ويناقضه، وكيف نشروا الصلاح والرحمة والحكمة على البلاد والعباد وكيف تم بإرشادهم الصلاح الذي ليس بعده صلاح والسعادة العاجلة والآجلة والفلاح، فهل تجد علما نافعا أو خلقـا فاضلا أو خيرا ناميا أو شرا مدفوعا أو ضرارا مرفوعا إلا بسبب الرسـل وإرشادهم وهدايتهم وسعيهم.

أما هؤلاء الملحدون الماديون فعلى العكس من ذلك فإن آثار علومهم وأعمالهم هبطت بالبشر والإنسانية إلى أسفل سافلين، وشقُوا في دنياهم كمـا شقوا في دينهم وعقولهم، وهذه المخترعات التي تكبروا بها وطغو وبغـوا؛ هل توسلوا بها إلى الخير والحياة الطيبة والرحمة، أم صارت أكبر نكبة على

---

(١) الأدلة القواطع (ص: ١٥-١٦).

البشر وأعظم مصيبة عليهم وعلى غيرهم؟ فأين الرشد وأين العقول وأين الأحلام الصحيحة من قوم هذا وصفهم، ووصف أعمالهم المطابق لأحوالهم الذي لا يمكن أحد إنكاره؟ ولكن الكبر والأشر والنظر القاصر والبهرجة روجت باطلهم فجرفت جمهور البشر الذين لا بصيرة لهم ولا عقول صحيحة، وإنما معهم التقليد الأعمى والزهور والغرور"(١).

أصل بلاء الملحدين:

قال رحمه الله في الوجه الرابع العشرين:" أصل بلاء المشركين والملحدين قياس الرب العظيم بالمخلوق الناقص الحقير، ولم يعترفوا أن الله ليس كمثله شيء، وأن له المثل الأعلى في السموات والأرض، وأن له العظمة كلها والكبرياء كله والمجد والحمد والجلال، وأن ما للخلق من أولهم إلى آخرهم من قوة وعظمة وأوصاف فإنها تضمحل غاية الاضمحلال ولا يبقى لها نسبة بوجه من الوجوه إذا نسبت إلى عظمة الله وجلاله وكماله، وإلا فلو علموا أن الله تعالى هو الخالق لجميع الموجودات أعيانها وأوصافها وأفعالها ومن سواه مخلوق، وأنه مالك الملك المطلق ومن سواه عبد مملوك، وأنه العليم الذي أحاط علمه بكل شيء، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، العزيز الذي علا على كل شيء، وقهر المخلوقات كلها ودانت لعزته وقدرته، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، الحكيم في كل ما خلقه وحكم به شرعا وقدرا وجزاء إلى آخر ما وصلت إليه معارف الرسل وأتباعهم من أوصافه فلا يحصي أحد ثناء عليه، لو علموا شيئا من ذلك لعرفوا أن قولهم واعتقادهم أبطل الباطل وأشنع الكذب وأعظم الجراءة على الله والمكابرة لآياته وبراهينه التي

(١) الأدلة القواطع (ص: ١٩).

خضعت لها الخليقة ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)﴾ [الإسراء:٤٤]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ [مريم:٩٣-٩٥]، فهؤلاء الملحدون لما لم تصل معارفهم الضئيلة إلى شيء من ذلك وحصروها في بعض الأسباب ولم ترتق إلى مسبب الأسباب، ولم يصلوا من المخلوقات إلى خالقها، ظنوا أن ما وصلوا إليه هو غاية العلم ونهاية المعرفة جهلا وضلالا، ومنهم من كان كذلك ظلما وعنادا، فيا أيها المؤمن بالله احمد الله على هذه النعمة التي هي أكبر النعم والسلامة من عقوبة الإلحاد التي هي أكبر النقم"[١].

---

(١) الأدلة القواطع (ص:٢٩-٣٠).

- الحيرة والشك هما حصاد الملاحدة:

قال رحمه الله في الوجه الأخير (الثالث والثمانين):"قد تقرر مما تقدم أن أهل الجحود والإلحاد لم يصلوا في علومهم إلا إلى جهل مركب أو جهل بسيط، أو جحود مع العناد، لأن رؤسائهم وأساطينهم أهل الذكاء والفطنة الذين أفنوا أوقاتهم في هذه البحوث لم يصلوا إلى يقين تطمئن له قلوبهم، بل إما إلى حيرة وارتياب، وإما إلى اختلاف كثير واضطراب، وإما إلى مكابرة من هؤلاء الأحزاب، كما عرف ذلك من مقالاتهم؛ فإذا كان هؤلاء هم الرؤساء فكيف بمقلديهم الذين لم يبلغوا عشر معشارهم في الذكاء والفطنة والبحث، فهم كما قال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النور:٣٩] إلى أخر الآيات، والمؤمنون بالله وكتبه ورسله على نور من ربهم ويقين من إيمانهم حيث بنوا علومهم ومعارفهم وإيمانهم وأعمالهم على الأصول الصحيحة الثابتة، وهي نصوص الكتب المنزلة ونصوص الأنبياء وآيات الله في الأنفس والآفاق والعقول السليمة والفطر المستقيمة، ففازوا بخير الدنيا والآخرة، ورجع الآخرون بالصفقة الخاسرة"(١).

ثم ختم الشيخ رسالته بدعاء جامع. سائلاً الله أن يرزقنا علما ويقينا وإيمانا وطمأنينة به وبذكره وسلوكا للصراط المستقيم المشتمل على العلم بالحق والعمل به الموصل إلى كل خير وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

(١) الأدلة القواطع (ص:٨٥-٨٦).

وقفات مع رسالة "انتصار الحق":

ومن بديع ما كتب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي ضمن جهوده في التصدي للإلحاد وأهله رسالة بعنوان "انتصار الحق" وهي عبارة عن مناظرة لطيفة بين رجلين مسلمين يشتغلان بطلب العلم؛ أحدهما تسلل إليه الإلحاد من جراء انبهاره بالحضارات الغربية، والآخر متمسك بعقيدته لا يعتريه شك ولا يجتاحه وساوس.

فجاءت هذه المناظرة بديعة في أسلوبها وعميقة فيما ترمي إليه من معاني وأهداف، وقد كانت هذه المحاورة في أصلها مقالات نشِرت في أعداد من مجلة المنهل (عام ١٣٦٧ه)، حتى جمعها الأستاذ الدكتور عبد الله الطيار في رسالة لطيفة وطبعت لأول مرة بتاريخ (١٤١٢/٤/٤ه)، وكتب في مقدمتها : "... وهذه المحاورة التي بين أيدينا تمثل نمطًا جديدًا من الكتابة طرَقه ابنُ سعدي قبل ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وهذه المحاورة اللطيفة الهادئة جمعت بين قوة الحجة ووضوح المحجة وسلامة المنهج، وبعد النظر، والبحث عن الأسباب وعلاجها ثم الوصول إلى الثمرة المرجوة، كل ذلك في صفحاتٍ يسيرةٍ لا تتجاوزُ العشرين صفحة"(١).

منهج الشيخ في رسالته "انتصار الحق":

قال الشيخ رحمه الله في المقدمة موضحا منهجه في رسالته: "هذه صورة محاورة بين رجلين كانا متصاحبين رفيقين مسلمين، يدينان بالدين الحق، ويشتغلان في طلب العلم جميعاً، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا، فإذا هذا الغائب قد تغيرت أحواله وتبدلت أخلاقه، فسأله صاحبه عن ذلك، فإذا هو قد تغلَبت عليه دعايةُ الملحدين الذين يدعون لنبذ الدين ورفض ما جاء به المرسلون؛ فحاوره صاحبه لعله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب فأعيته الحيلةُ في ذلك، وعرف أن ذلك علةٌ عظيمةٌ ومرض

(١) مقدمة الطبعة الأولى من انتصار الحق (ص:١-٢).

يفتقِرُ إلى استئصال الداء ومعالجته بأنفع الدواء وعرف أن ذلك متوقف على معرِفة الأسباب التي حولته والطرق التي أوصلته إلى الحالة المخيفة وإلى فحصها وتمحيصِها وتخليصها وتوضيحها، ومقابلتِها بما يضادُها ويقمعُها على وجه الحكمة والسداد"(١).

ملخص المناظرة البليغة:

-سؤال من المسلم لصديقه الملحد عن سبب إلحاده:

يقول الشيخ رحمه الله: "فقال له صاحبه- مستكشفاً له عن الحامل له على ذلك-: يا أخي، ما هذه الأسباب التي حملتك على ما أرى؟ وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه؟ فإن كان خيرا كنتُ أنا وأنت شريكين، وإن كان غير ذلك فأعرف من عقلك ودينك وأدبك أنني وأنك لا ترضي أن تقيمَ على ما يضرك"(٢).

-احتجاج الملحد بضعف المسلمين وقوة الكفار:

يقول الشيخ رحمه الله: "فأجابه صاحبه قائلاً: لا أكتمك أني قد رأيتُ المسلمين على حالةٍ لا يرضاها ذوو الهمم العالية؛ رأيتُهم في جهل وذل وخمول، وأمورهم مدبرة، وفي الجانب الآخرِ هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة وتفننوا في الفنونِ الراقيةِ والمخترعاتِ العجيبةِ المدهشةِ والصناعاتِ المتفوقةِ، رأيتُهم قد دانت لهم الأممُ، وخضعت لهم الرقابُ، وصاروا يتحكمون في الأمم الضعيفةِ بما شاؤا ويُعدونهم كالعبيدِ والأُجراءِ، فرأيتُ فيهم العزَ الذي بهرني، والتفنن الذي أدهشني فقلتُ في نفسي لولا أن هؤلاء القوم هم القوم وأنهم على الحقِ والمسلمون على الباطلِ لما كانوا على هذا الوصفِ الذي ذكرتُ لك .فرأيتُ أن سلوكي سبيلهم واقتدائِي بهم خير لي وأحسنُ عاقبة فهذا الذي صيَرني إلى ما رأيت"(٣).

---

(١) انتصار الحق (ص: ٨).
(٢) انتصار الحق (ص:١٠).
(٣) انتصار الحق (ص: ١١).

رد المسلم الناصح على شبهة صديقه الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: "فقال له صاحبه حين أبدى ما كان خافياً: إذا كان هذا هو السب الذي حولَك إلى ما أرى فهذا ليس من الأسباب التي يبني عليها أولوا الألباب والعقول عقائدَهم وأخلاقهم وأعمالهم ومستقبل أمـرهم، فاسمع يا صديقي تمحيص هذا الأمر الذي غرك وحقيقَته:

إن تأخر المسلمين فيما ذكرت ليس ناشئاً عن دينهم، فإنه قد عِلم كلُ من له أدنى نظر وبصيرة أن دينَ الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح في أمورِ الدين وفي أمور الدنيا، ويحث على الاستعدادِ من تعلم العلوم والفنون النافعة، ويدعو إلى تقوية القوة المعنوية والمادية لمقاومة الأعداء، والسلامة من شرهم وأضرارهم، ولم يستفد أحد منفعة دنيوية فضلاً عن المنافع الدينية إلا من هذا الدين، وهذه تعاليمه وإرشاداته قائمة لدينا تنادي أهلهَا :هلُم إلـى الاشتغال بجميع الأسبابِ النافعة التي تعليكم وترقيكم في ديـنكم ودُنيـاكم؛ أفبتفريط المسلمين تحتجُّ على الدين؟! إن هذا لهو الظلمُ المبينُ.!

أليس من قصور النظر ومن الهوى والتعصب، النظر فـي أحـوال المسلمين في هذه الحقبة من الزمن التي تدهورت فيها علـومهم وأعمـالهم وأخلاقهم، وفقدوا فيها جميع مقوماتِ دينهم، وترك النظر إليهم فـي زهـرة الإسلام والدين في الصدر الأول، حيث كانوا قائمين بالدين، مستقيمين على الدين، سالكين كل طريق يدعو إليه الدين، فارتقت أخلاقهم وأعمالهم حتـى بلغت مبلغاً ما وصل إليه ولن يصل إليه أحد من الأولين والآخرين، ودانت لهم الدنيا من مشارِقها إلى مغاربها وخضعت لهم أقوى الأمم وذلك بالـدين الحق والعدل والحكمـة والرحمـة، وبالأوصـاف الجميلـة التـي كـانوا عليها؟! .... إلخ"[١].

(١) انتصار الحق (ص: ١١-١٥).

اصرار الملحد على مذهبه:

يقول الشيخ رحمه الله: فقال المنصوح: الأمر هو ما ذكرتُ لك، ونفسي تتوق إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وترقوا في هذه الحياة.

نصيحة جديدة من المسلم لصديقه الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: فقال له صاحبه وهو يحاوره: رفضت دينا قيما كامل القواعد ثابت الأركان مشرق البرهان، يدعو إلى كل خير ويحث على السعادة والفلاح، ويقول لأهله هلم إلى كل صلاح وإصلاح، وإلى كل خير ونجاح، واسلكوا كل طريق يوصلكم إلى السعادة الدنيوية والأخروية. دينا مبنيا على الحضارة الراقية الصحيحة التي بنيت على العدل والتوحيد، وأسست على الرحمة والحكمة والعلم والشفقة وأداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وسلمت من الظلم والجشع والأخلاق السافلة، وشملت بظلها الظليل وإحسانها الطويل وخيرها الشامل، وبهائها الكامل، ما بين المشارق والمغارب، وأقر بذلك الموافق والمنصف المخالف ...أتتركُها راغبا في حضارات ومدنيات مبنية على الكفر والإلحاد، مؤسسة على الظلم والجشع والقسوة وظلم العباد، فاقدة لروح الإيمان ورحمته، عادمة لنور العلم وحكمته حضارة ظاهرها مزخرف مزوق، وباطنها خراب، وتظنها تعمر الوجود، وهي في الحقيقة مآلها الهلاك، والتدمير؟ ألم تر آثارها في هذه الأوقات، وما احتوت عليه من الآفات والويلات، وما جلبته للخلائق من الهلاك والفناء والتدمير؟ ....إلخ.

تردد الملحد بعد سماعه لنصيحة صديقه المسلم:

يقول الشيخ رحمه الله: "فقال له المنصوح: لقد صدقتَ فيما قلتَ، ولكن لي على هذا المذهب أصحاب مثقفون، ولي على هذا الرأي شبيبة مهذبون، قد تعاقدت معهم على التمسك بالإلحاد واحتقار المستمسكين بدين رب العباد، قد أخذنا نصيباً وافرًا من اللذات، واستبحنا ما تدعو إليه النفوس من أصناف الشهوات فأنى لي بمقاطعة هؤلاء السادة الغرر، وكيف لي

بمباينتهم وقد اتصلت بهم غاية الاتصال؟! فالآن يتنازعني – بعدما بان سبيله واتضح دليله – داعيان: داعي الحق وداعي النفس والاتصال بهؤلاء الأصحاب المنافي للحق غاية المنافاة، فكيف الطريق الذي يرني ويشفيني، وما الذي عن هذا الأمر يسليني؟"(١).

نصيحة جديدة من المسلم الناصح إلى صديقه الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: "فقال له صاحبه الناصح: ألم تعلم أن من أوجب الواجبات وأكبر فضائل الرجل اللبيب أن يتبع الحق الذي تبين له ويدع ما هو فيه من الباطل، وخصوصا عند المنازعات النفسية والأغراض الدنيوية؟ وأن الموفق، إذا وقع في المهالك، طلب الوسيلة إلى تحصيل الأسباب المنجية؟ أما علمت أن من نعمة الله على العبد أن يقيض له الناصحين الذين يرشدونه إلى الخيْر ويأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر ويسعون في سعادته وفلاحه؟ ثم من تمام هذه النعمة أن يوفق لطاعتهم ولا يتشبه بمن قال الله فيهم: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩].

ثم اعلم أنه ربما كان الإنسان إذا ذاق مذهب المنحرفين وشاهد ما فيه من الغي والضلال ثم تراجع إلى الحق، الذي هو حبيب القلوب، كان أعظم لوقعه وأكبر لنفعه! فارجِع إلى الحق صادقًا وثق بوعد الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران:٩]"(٢).

الملحد يسأل عن كيفية رد الشبهات:

يقول الشيخ رحمه الله: فقال له المنصوح:" لا يخفى عليك يا أخي أن الباطل إذا دخل في القلوب وتمكن منها لا يخرج بسهولة، فأريد أن توضح

(١) انتصار الحق (ص: ١٥).
(٢) انتصار الحق (ص: ١٨).

لي توضيحا تاما بطلان ما عليه هؤلاء الملحدون فإنهم يقيمون الشبه المتنوعة في ترويج قولهم ليغتر به من لا بصيرة له"[1].

إجابة شافية من المسلم:

يقول الشيخ رحمه الله:" فقال له الناصح: اعلم أن الحق والباطل متقابلان، وأن الخير والشر متنافيان، وبمعرفة واحد من الضدين يظهر حسن الآخر أو قبحه، فأنبئك على وجه الإجمال والتنبيه اللطيف؛ إذا أردت أن تقابل بين الأشياء المتباينات؛ فانظر إلى أساسها الذي أسست عليه، وإلى قواعدها التي انبتت عليها، وانظر إلى آثارها ونتائجها وثمراتها المتفرعة عنها، وانظر إلى أدلتها وبراهينها التي بها ثبتت، وانظر إلى ما تحتوي وتشمل عليه من الصلاح والمنافع، ومن المفاسد والمضار؛ فعند ذلك إذا نظرت لهذه الأمور بفهم صحيح وعقل رجيح، ظهر لك الأمر عيانا؛ فإذا عرفت هذه الأصول فهذا الدين الحق الذي دعت إليه الرسل عموما وخاتمهم وإمامهم محمد ﷺ خصوصا، قد بني وأُسس على التوحيد والتأله لله وحده لا شريك، حبا وخوفا، ورجاء، وإخلاصا، وانقيادا، وإذعانا لربوبيته، واستسلاما لعبوديته، قد دل على هذا الأصل الذي هو أكبر جميع أصول الأدلة العقلية والفطرية، ودلت عليه جميع الكتب السماوية وقرره جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من أهل العلوم الراسخة، والألباب الرزينة، والأخلاق العالية، والآداب السامية، كل أولئك اتفقوا على أن الله منفرد بالوحدانية، منعوت بكل صفة كمال، موصوف بغاية الجلال والعظمة والكبرياء والجمال، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وأنه منزه عن كل صفة نقص وعن مماثلة المخلوقين، وأنه لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر إلا هو؛ فالدين الإسلامي على هذا الأصل أُسِّس، وعليه قام واستقام.

---

(١) انتصار الحق (ص: ٢٠).

وأما ما عليه أهلُ الإلحاد فإنه ينافي هذا الأصل غاية المنافـاة فإنـه مبني على إنكار البارئ رأسًا، فضلا عن الاعتراف له بالكمال وعن القيـام بأوجب الواجبات وأفرض الفروض وهو عبوديته وحده لا شريك له، فأهـل هذا المذهب أعظم الخلق مكابرة وإنكارا لأظهر الأشياء وأوضحها فمن أنكر الله فبأي شيء يعترف؟ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[الجاثية:٦]. وهؤلاء أبعدُ الناس عن عبودية الله والإنابة إليه، وعون التخلق بـالأخلاق الفاضـلة التي تدعو إليها الشرائع، وتخض لها العقول الصحيحة ومع خُلو قلوبهم من توحيد الله والإيمان به وتوابعِ ذلك فهم أجهَل الناس، وأقلهم بصيرة ومعرفة بشريعة الإسلام وأصول الدين وفروعه، فتجدهم يكتبون ويتكلمون ويدعون لأنفسِهم منَ العِلْومِ والمعرفة والثقافة واليقـين مـا لا يصـل إليـه أكـابر العلماء.....

أما الأخلاق فلا تسأل عن أخلاق من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخـر ولا يعتقد الأديان الصحيحة، فإن الأخلاق نتـائجُ الاعتقـادات الصـحيحة والفاسدة، فغاية ما عند هؤلاء التملُقُ القوليِ والفعلي، والخضـوع الكـاذب للمخلوقين، وهم من هذا الخضوع السافل تجد عندهم من العُجـب والكبْـر واحتقار الخلق والاستِنكافِ عن مخالطةِ من يستنقصونهم شيئاً كثيراً، فهـم أوضع خلق الله وأعظمهم كبْرا وتيها.

ثم إنهم يستعينون على هذا الخلق المسمى عنْدهم بالثقافـة بالتصـنيع والتجمل بالملابس، والفرش، والزخارف، ويفنون كثيرًا من أوقـاتهم بـذلك وقلوبهم خراب خالية من الهدى والأخلاق الجميلة، فالجمال الظاهر الباطِـل ماذا يغني عون الجمال الحقيقي؟ ثم إذا لحظت إن غاياتهم ومقاصدهم فـإذا هي أغراض دنية ومقاصد سفليةٌ ومطامع شخصية، وإذا سـبرت أحـوالَهم

رأيتهم إذا اجتمعوا تظنهم أصدقاء مجتمعين فإذا افترقوا فهم الأعداءُ ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤] ..... إلخ[١].

الملحد يسأل عن سبيل النجاة:

يقول الشيخ رحمه الله: "قال المنصوح: والله ما تعديت في وصفهم مثقال ذرة، ولكني أريد أن تدلني على طريق يجمع بين السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية، لأن نفوس من تربى وتخلق بأخلاقِ هؤلاءِ لا ترجع عما ألفَته إلا بأمر قوي؛ إما بترغيب وهوى يجذبُها، وإما بترهيب وخوف يقمعها"[٢].

إجابة المسلم على سؤال الملحد:

يقول الشيخ رحمه الله: "فقال له صاحبه الناصح: والله لقد أدركتَ في هذا الدين مطلوبك، وفيه والله كل مرادك ومرغوبك، فإنه الدين الذي جمع بين سعادة الدنيا والأخرة وفيه اللذات القلبية والروحية والجسدية، ولا تفقد من مطالب النفوس الحقيقية شيئا إلا أدركته، ولا من أنواع المسرات شيئاً إلا حصلته، ففيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وسأوضح لك ذلك.

فاعلم أن أصول اللذات المطلوبة:

أولاً: راحة القلوب وسكونها وطمأنينتها، وفرحها وبهجتها وزوال هُمومها وغمومها.

ثانياً: القناعة والطمأنينة بما أوتيه العبد من المطالب الجسدية.

ثالثاً: استعمال ذلك على وجوه يحصل به السرور والاغتباط.

فهذِه الأمور الثلاثة، من رزقها واستعملَها على وجهها فقد نال كل ما تعلق به طمع الطامعين، فإنّ جميع اللذات ترجع إلى ما ذكرنا.

---

(١) انتصار الحق (ص: ١٨-٢٤).

(٢) انتصار الحق (ص:٢٦).

- لذات القلوب:

فأما لذات القُلوب وحصول سرورها وزوال كدرها فإنما أصل ذلك بالإيمان التام بما دعا الله عباده إلى الإيمان به من الإيمان بتوحده بجميع نعوت الكمال وامتلاء القلوب من تعظيمه وجلاله ومن التأله له وعبُودِيته والإنابة إليه وإخلال العمل الظاهر والباطن لوجهه الأعلى، وما يتبع ذلكَ مِن النصح لعباد الله ومحبة الخير لهم وبذل المقْدور من نفعهم والإحسان إليهم والإكثار مِن ذكر الله والاستغفار والتوبة فمن أوتي هذه الأمور فقد حصل لقَلبه من الهداية والرحمة والنور والسرور وزوال الأكدار والهموم والغمومِ ما هو نموذج من نعيم الآخرة، وأهل هذا الشأن لا يغبطون أرباب الدنيا والملوك على لذاتهم ورياساتهم؛ بل يرون ما أعطوه من هذه الأمور يفوق ما أعطيه هؤلاء بأضعاف مضاعفة، وهذا النعيم القلبي لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه وجربه فإنه كما قيل:

مَن ذَاقَ طَعمَ نِعيمِ القَوم يَدرِيه .... ومَن درَاهُ غدًا بالروحِ يَشرَيه

فهذا إشارة لطريق هذا النعيم القلبي الذي هو أصل كل نعيم.

- القناعة والطمأنينة:

وأما الأمر الثاني فإن الله أعطى العباد القوة والصحة وما يتبع ذلك من مال وأهل وولدٍ وخول وغيرها. والناس بالنسبة لهذه الأشياء نوعان: وقسم صارت هذه النعم في حقهم مِحناً ونِقماً. وقسم صار في حقهم نهما وخيرات ومنحا، أما أهل الدين الحقيقي فقد قابلوا هذه النعم وتلقوها على وجوه الشكر لله والاغتباط بفضله وتناولوها على وجه الاستعانة بها على طاعة المنعم وعلموا أنها من أكبر الوسائل لهم إلى رضى ربهم وخيره وثوابه إذا استعملوها فيما هيئت له وخلقت لأجله وقد رضوا بها عن الله كل الرضى، فإنهم علموا أنها من عند الله الذي له الحكمة التامة في جميع أقضيته وأقداره، وله الرحمة الواسعة في جميع تدابيرِه، وله النعمة السابغة في كل عطاياه وهو أرحم بهم من الخلق أجمعين فحيث علموا العلم اليقيني صدورها ممن هذا شأنه قنعوا بما أُعطوه منها، من قليل وكثير كل القناعة،

وسكنت قلوبهم عن التطلع والتطلُب لما لم يقَدر لهم، ومتى حصلت الطمأنينة والقناعة والرضى عن الله بما أعطى فقد حصلت الحياة الطيبة، فإذا أدركت حق الإدراك نعتهم هذا عرفت أن نعيم الدنيا في الحقيقة هو نعيم القناعة برزق الله، وطمأنينة القلوب بذكر الله وطاعته، وأن الواحد من هؤلاء لو لم يكن عنده من هذه الأمور وهي القوة والصَحة والمال والأهل والولد وتوابع ذلك القَليل لكَان في راحةٍ وسرور من جهتين؛ جهة القناعة وعدم تطلع النفس وتشوقها للأمور التي تحصل، وجهة ما ترجوه من ثواب الله العاجل والآجل على هذه العبادة القلبية التي تزيد على كثير من العبادات البدنية، فإن التعبد لله بمعرفة نعمه والاعتراف بها والرضى بها والرجاء لله أن يديمها ويتمها وأن يجعلها وسيلة إلى نعم أخرى وأن يجعلها طريقا للسعادة الأبدية لا رَيب أن هَذه الأحوال القَلبية من أفضَلِ الطاعاتِ وأجلِ القرباتِ، فكم من فرق بين سرور هذا الذي تَعَبد بروح الدِين وحصلت له الحياة الطيبة، وبين من تلقى هذه النعم بالغفلة وعدم الاعتراف بنعمة المنعم وشقي بهمومها وغمومها، وكان إذا حصل له شيء من مطال النفوس لم يرض به بل تشَوَق إلى غيره وتطلّع لسواه فهذا ينتقلُ من كدر إلى آخر، لأن قَلَبه قد تعلق تعلقاً شديداً بمطَالب الجسد، فحيث جاءت على خلاف ما يؤمله ويُريده قَلق أشد القَلق، وهو لا يزال في قلق مستمر، لأن المطال النفسية متنوعة جداً، فلو وافقه واحد لم يوافقه الآخر وربما اجتمع في الشيء الواحد سرور من وجه، وحزن من وجه آخر فصفوه ممزوج بكَدره وسروره مختَلِط بحزنه، فأينَ الحَياة الطَيبة لهذا؟! وإنما الحياة الطيبة لأرباب البصائر والحجى الذين يتلقونها كلها بالقبول والقناعة والرضى.

– جهة استعمال النعم:

وأما الأمر الثالث: وهو جهة استعمال هذه النعم، فصاحب الدين الصحيح يتناولها على وجه الشكر لله على نعمه والفرح بفضله، وينوى بها التقوي على ما خلق له من عبادة الله وطاعته، وينفقها مُحتسبا بها رضوى الله وفضوله وخلفه العاجل والآجل، ويعلم أنه إذا أنفَق على نفسه وأهله أو

ولده أو من يتصل به فإنما نفقته صادفت محلها ووَقعَت موقعَها فلم يتثاقــل كثرة النفقة في هذا الطَريق لأن يُقول معتَقدا: هذا أولى ما بذَلتُ فيه مــالي، وهذا ألزَم ما قمت به من الواجبَات والفُروض، وهذا خير ما قمت به مــن المستحبات، وهذا أعظم ما أرجو له الخلف من الله حيث يقول وهو الكــريم الــوفي : ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[ســبأ:٣٩]، ولا يزال نصب عينيه احِتساب الأجر في سعيه بكسبه وفي مصرفه أجناس ذلك وأنواعه وأفراده متفطنا لقوله: أنك لن تنفق نفقة تبتغي بهــا وجــه الله إلا أجرت عَليها حتى ما تجعله في فيِ امرأتِكَ"؛ فمن كان هذا وصفه فــإن لذاته الدنيوية هي اللذات الحقيقية السالمة من الأكدار مع مــا يرجــو مــن الثواب العاجل والآجل من الله، ومن كانت هذه صفته سهل عليه الأخذ مــن جلها ووضعها في محلها ويسرت له أموره غاية التيسير. وأما من اســتعمل هذه النعم على وجه الشره والغفلة، ويفكر في الاعتراف بفضل الله في كــل الأوقات وبنعم الله، ويفرح بالنعم لأنها من فضل الله بل فــرح بهــا فقــط لموافقة عرضه النفسي ولا نوى بها الاستعانة على طاعة الله، ولا احتسب في نيلها وصرفِها على المنفق عليهم الأجر والثواب فمن كان هذا وصفه فإن الكدر والحزن له بالمرصادِ، فإنه إذا فاتته بعض الشهوات النفســية حــزن، وإن أدرك ما أدركه منها ويكن على ما في خاطره من كل وجه حزن، وإن أراد منه ولده ومن يتصل به نفقة أو كسوة، واجبــة أو مســتحبة حــزن، ولا تخرج منه إلا بشق الأنفس وإن خرجت منه خرج معهــا بضــعةٌ مــن سرور قلبه، لأنه يحب بقاء ماله ويحزَن لنقصه على أي وجهٍ كــان ولــيس عنده من الاحتسابِ ما يهون عليه الأمر، إنْ كان غير بخيل، فإن كان شحيح النفس مطبوعًا على البخل فإن حياته مع أولاده وأهله والمتِصلين به حيــاة شقاء وعذاب وأكدار متواصلة وأحزان مستمرة، لا إيمان عنده يُهَون عليــه النفقاتِ، ولا نفس سخية لا تستعصي عن نيل المكرمات؛ فيا له من عــذاب حاضر وعذاب مستمر، فأين هذا من ذاك الذي حصلت له الحيــاة الطيبــة

بأكملها. هذا كله بالنَظرِ إلى هذه الأمور الثلاثة التي هي أصول اللذاتِ عند العقلاءِ، قد اتضح لنا أن صاحب الإيمان الصحيح هو الذي فــاز باللــذات الحقيقية وسلم من المكدِراتِ"(١).

خاتمة المناظرة:

يقول الشيخ رحمه الله: فلما تلا النصيح لصــاحبه هــذه المواضــيع، وبرهن عليها، قال له المنصوح: والله لقد انجلى عني مــا أجــد فــي أول موضوع تلوته علي، وانزاح عني الباطل في شرحك الأول، وإن مجلســك يا أخي ونصيحتك بهذه الطريقة النافعة تعود عندي الدنيا وما عليها، فأَحمد الله أولاً حيث قيضك لي، وأشكرك شكرا كثيراً حيث وفيت بحق الصحبة، ولم تصنع ما يصنعه أهْل العقول الذِين إذا رأَوا من أصحْابهم ما يســوؤُهم قَطعُوا عنهم حبل الوداد في الحال، وأعانوا الشيطان عليهم، فازداد بــذلك الشرك عليهم، وضاع بينهم التفاهم وإني لا أنسى جميــل معروفــك حيــث رأيتني سادراً في المهامة مغروراً بنفسي معجبًا برأيي، فأريتني بعيني ما أنا فيه، وأوقفتني بحكمتك على الهلاك الذي وقعت فيه، فالآن أستغفر الله ممــا مضى وأتوب إليه، وأسأله الإعانة على سلوك مرضاته، وأَفزع إليه أن يختم بالصالحات أعمالي، وأحمد الله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطنًا، فإنــه مــولي النِعم، دافع النقم، غزير الجود والكرم.... إلخ"(٢).

هذا بإجمال أهم ما كتبه الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، في الرد على الإلحاد وأهله، وبيان الحق ونصره، حرصت على نقل كلامه ففيه البيان والكفاية، وأشرت إلى منهجه في تلك الجهود بإيجــاز العبارة.

---

(١) انتصار الحق (ص:٢٦-٤٠).

(٢) انتصار الحق (ص:٤٤).

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات:

وبعد هذا التطواف في ميادين الشيخ: عبد الرحمن السعدي، وجهوده في الرد على الإلحاد وأهله، يطيب لي أن أسجل أهم النتائج والتوصيات، والتي كان من أهمها ما يلي:

-أهمية علم العقيدة وأنه من أولويات العلوم التي يجب على العامة والخاصة أن يبدؤا به في تعلمهم.

-التأمل فيما منح الله الشيخ السعدي –رحمه الله– وفتح عليه، من جميل العبارة وأدب الصياغة وعمق المعني وفقه الواقع في زمنه، مما يجعل من أهم الوصايا الأقبال على تراثه والنظر فيه، والاستفادة منه علماً وعملاً.

-إعادة الطرح، والتنوع فيه، في بيان توحيد الربوبية والاهتمام به وإلقاء الضوء عليه، وذلك لمواجهة الإلحاد والملحدين.

-التأكيد على العناية بتوحيد الربوبية، سيما هذا الوقت، لوجود من ينازع الله في خلقه وتدبيره.

-على الجامعات المعنية بتدريس العقيدة أن تخصص مادة لتعليم منسوبيها فن المناظرة والرد على المخالف.

-الاهتمام البالغ بالكتب المعتمدة لدى أهل العلم والتي ناقشت موضوع الرد على المخالف في مجال الاعتقاد.

-التحذير العام من الإلحاد والملحدين من خلال وسائل الإعلام الدعوية من منابر ومدارس وجامعات وقنوات وكتب وصحف ومجلات.

-على طائفة من طلبة العلم أن تعتني بدراسة الفكر الإلحادي، واستقراء منهاجهم، والتصدي لحججهم، والرد عليهم.

-يظهر في ردود الشيخ رحمه الله: التزام الأدب والإنصاف في الرد على المخالف، وعدم التعدي عليه، والتزام الرد العلمي الرصين والحجة الدامغة، مع الشفقة عليه والدعاء له.

فهرس المراجع:

-القران الكريم.
-انتصار الحق- المؤلف عبد الرحمن السعدي- الناشر: (PDF-).
-الآداب الشرعية والمنح المرعية- المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، المشهور بابن مفلح (المتوفى: ٧٦٣هـ)- الناشر: عالم الكتب.
-الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين- المؤلف عبد الرحمن السعدي- الناشر- مكتبة المعارف.
-بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار- المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الكريم بن رسمي اللدريني؛ دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع
-تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن المؤلف: السعدي- الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- المؤلف: السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا - الناشر: مؤسسة الرسالة.
-تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي فى أغلاله - المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيس البابي الحلبي وشركاه.
-الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة- المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر؛ الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
-شذور ولطائف في آداب الرد على المخالف- المؤلف: حمد بن عبدالعزيز بن حمد بن عتيق.

- صحيح البخاري- المؤلف: البخاري: (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون طبعة.
-مجموع الفتاوى- المؤلف: ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.